

تفسير ابن كثير

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَن أَنَابَ

يخبر تعالى عن قيل المشركين : (لولا) أي : هلا (أنزل عليه آية من ربه) كما قالوا : (

فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) [الأنبياء : 5] وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة ، وإن

الله قادر على إجابة ما سألوا . وفي الحديث : أن الله أوحى إلى رسوله لما سأله أن يحول

لهم الصفا ذها ، وأن يجري لهم ينبوعا ، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها

مروج ويسانين : إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك ، فإن كفروا فإني أعذبهم عذابا لا

أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : " بل

تفتح لهم باب التوبة والرحمة " ; ولهذا قال لرسوله : (قل إن الله يضل من يشاء ويهدي

إليه من أناب) أي : هو المضل والهادي ، سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا ،

أو لم يجبههم إلى سؤالهم ; فإن الهداية والإضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه ، كما قال : (

وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) [يونس : 101] وقال (إن الذين حقت

عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) [يونس : 96
، [97] وقال (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) [الأنعام : 111] ؛ ولهذا قال :
(قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) أي : ويهدي من أناب إلى الله ،
ورجع إليه ، واستعان به ، وتضرع لديه .